القسم الاول

ابتكار الكتابة :

ان الافتراض العام المقبول حول اختراع الكتابة انها بدأت بسبب الحاجة الى توثيق ما يعطى او يؤخذ من مواد و سلع مختلفة بدلا من الاعتماد على الذاكرة .

فبعد ان ظهرت المدن و ازدادت الاعمال خصوصا بعد نشوء المعابد و قيامها باستلام القرابين و النذور و صرفها لها لتلبية الاحتياجات اليومية ، فبمرور الزمن توسعت المدن و تطورت الحياة و ازداد عدد السكان فإزدادت مدخولات و مخرجات المعابد زيادة كبيرة اصبح من الضروري معها الاعتماد على وسيلة اخرى غير الذاكرة لتسجيل ما يؤخذ و يعطى من المعبد . نجد ان الذاكرة لم تعد الوسيلة المناسبة لمعرفة ما أدخل و ما اخرج من مواد ، و من هنا اقتضت الضرورة توثيق ذلك بتسجيل اعداد المواد كأن يوضع خط واحد لكل سلعة او مادة واحدة ، ثم تطور الى رسم صورة الشيء المراد الى جانب عدده كأن يكون رأس ماشية محدد و بجانبه عدد من الخطوط تمثل عدد رؤوس الماشية المراد تدوينها ، و بهذه الطريقة ظهرت اقدم الالواح المدونة و التي سميت بالألواح الصورية ، لأنها تحمل صورة الشيء المراد تدوينه ، و ظهرت أولى هذه الالواح في موقع مدينة الوركاء (في محافظة المثنى) و تحديد في دور الوركاء المتأخر الطبقة الرابعة أ وكذلك في الطبقة الثالثة التي تأتي فوقها و يعود تاريخ هاتين الطبقتين الى الحقبة الزمنية الممتدة ما بين عامي ٣٣٠٠ – ٢٩٠٠ ق.م. .

نظرية نشوء الكتابة

في عام ١٩٧٥م. تقريبا ظهرت نظرية عن اختراع الكتابة و قد طرحتها باحثة امريكية تدعى (دنيس شماندت بسرات) و توصلت الى ان عمليات التنقيب في كل المواقع الاثارية في الشرق الادنى تقريبا و التي يعود تاريخها الى ما بين الالفين التاسع و الرابع قبل الميلاد كشفت عن وجود قطع طينية صغيرة بحجوم هندسية مختلفة و سمتها (Tokens) ، الرموز و افترضت ان هذه الرموز استعملت سجلات حفظ للشؤون المنزلية و الاعمال العامة ، كانت هذه الرموز تحفظ متفرقة ، و لكن في صناديق او سلال او تثقب و تشد بخيط معا ، ثم اخذت تحفظ لاحقا في كرات طينية مجوفة و مغلقة ، و لم يكن بالإمكان معرفة ما بداخل هذه الكرات الا بكسرها بالطبع ، و اصبحت في ازمان لاحقة تختم بعدد الرموز الموجودة في داخلها ، و بمرور الزمن أخذ بتسجيل وصف لما في الداخل على الكرة الطينية بحيث اصبحت هذه الكرات الواحاً كتابية و هكذا تطورت الكتابة عن طريق ايجاد علامات تشرح ما رمزت اليه تلك الرموز الموجودة داخل الجرة .

و لقد ثبت صحة هذه النظرية من خلال دراسة الباحثة للرموز التي عثر عليها في موقع مدينة اوروك (الوركاء) .

من هم السومريون ؟

تتم دراسة أصل الشعوب و تجذيرها اعتمادا على عدة امور ، منها اللغة الناطقة بها تللك الشعوب ، فعلى سبيل المثال ان الاقوام الاكدية التي استوطنت العراق القديم بشقيها البابلي في وسط و جنوب العراق و الاشوري في شمال العراق ارجع العلماء اصلها الى الاقوام الجزيرية التي عاشت في الجزيرة العربية ثم هاجرت الى مناطق مختلفة في بلاد الرافدين و الشام و غيرها ، و ذلك استنادا الى اللغة الاكدية التي كانوا يتكلمون بها و التي ارجعها الباحثين المختصين الى عائلة اللغات العاربة (العائلة اللغوية تضم مجموعة من اللغات المتقاربة ذات الاصل المشترك) .

الا ان اللغة السومرية لم يعثر لحد الان على اي لغة مقاربة لها او تندرج ضمن عائلة لغوية مشابهة ، و هو ما عرف لدى الباحثين بـ (المشكلة السومرية) .

من هم السومريون ؟ و ما هي النظريات التي طرحت في اصلهم ؟

تفترض بعض الآراء ان السومريون هم من الاقوام التي هاجرت في ازمان سحيقة الى مناطق مختلفة منها شمال بلاد الرافدين ، فهل هم من سكان بلاد الرافدين الاصليين الذين اقاموا اقدم القرى الزراعية في شمال البلاد في قرى نمريك و جرمو و حسونة و سامراء و انهم نزحوا الى الجنوب بعد ان توفرت لهم اسباب العيش هناك . من المعروف ان القسم الجنوبي من بلاد الرافدين و تحديدا من حدود مدينة نيبور (نفر في محافظة القادسية) الى اقصى جنوب الاراضي العراقية .

و تعتبر هذه النظرية حاليا من الآراء المقبولة لدى الباحثين .

– أو انهم هاجروا من بلدان اخرى فهنالك بعض الباحثين من يرى انهم نزحوا في الاصل من وادي السند الذي ازدهرت فيه حضارة هربا و موهنجدارو ، استنادا الى وجود قطع اثرية تعود لهذين الحضارتين في المواقع السومرية جنوب البلاد .

فيما يرى باحثين اخرين انهم هاجروا من مكان و دلمون في الخليج العربي استنادا الى وجود اسم هذين المدينتين في الادب السومري . .

– أو انهم نزحوا من المناطق الجبلية الى استنادا الى الزقورات التي قاموا ببنائها في وسط و جنوب العراق و التي مثلت في فنونهم . .

و يمكن الرد على هاتين النظريتين بأن السومريون مارسوا التجارة منذ عصر الوركاء مع هذه المناطق ومن الطبيعي ان يكون هنالك مواد متبادلة . .

– نظرية قديمة لكن اعيد طرحها بقوة استنادا الى الدراسات اللغوية تذكر ان اللغة السومرية هي البدايات الاولى للغة الاكدية و بالتالي تطرح الشك حول اصل السومريين ، للمزيد :

أ.د.نائل حنون ، حقيقة السومريين ، (دمشق ، ٢٠٠٧) ص ٤١